محمد مسعد العربي
وحدة الدراسات المستقبلية -
مكتبة الإسكندرية

من القاعدة إلى داعش:

حسابات الحرب الثانية ضد "الجهادية العالمية"

بدا إعلان الرئيس الأمريكي باراك أوباما في 10 سبتمبر من هذا العام عن البدء في تأسيس تحالف دولي لمواجهة التطرف الإسلامي الذي يمثله تنظيم "داعش"، تعبيراً عن فترة طويلة وعملية مستمرة لتحليل المخاطر التي يمثلها هذا التنظيم وغيره من التنظيمات الإرهابية على المصالح الأمريكية والغربية، وكذلك ما يفرضه من مخاطر على دول الشرق الأوسط. وقد يشابه هذا الوضع ملابسات ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001، وهو ما قد يلقي تبعاته على منطقة الشرق الأوسط، التي لم تتعاف بلدانه بعد من آثار الاضطرابات التي أحدثتها الحرب على الإرهاب في عهد إدارة الرئيس جورج بوش الابن، وما تلاها من اندلاع ثورات وانتفاضات عربية.

وفي هذا الإطار، تناول عدد من الباحثين في الدوريات الأكاديمية الأجنبية والباحثين والمتخصصين الغربيين الخيارات الأمريكية المطروحة لمواجهة هذا التنظيم، والحدود المتعلقة بالحكومة الأمريكية في التعامل مع هذا التحدي، في ظل عودة

أمريكية جديدة إلى المنطقة بعد حرب مريرة في العراق. ومن ثَمَّ يسعى هذا التقرير إلى عرض أهم التحليلات والاتجاهات، التي جاءت في عدد من هذه الدراسات والمقالات الصادرة في شهري أغسطس وسبتمبر 2014 حول هذه القضية.

أولاً: ما بعد القاعدة: جيل جديد من الجهادية الإسلامية

بعد أن اجتاح تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"[1] شمال العراق، واستولى على أكبر مدنه الموصل في يونيو 2014، واستمر في زحفه حتى بغداد، أصبح التنظيم معبراً عن موجة جديدة من الجهادية الإسلامية، التي كان تنظيم القاعدة وشبكته حول العالم عنوانها الأبرز لسنوات. وقد أظهر تقرير للإيكونيميست[2] أهم السمات التي يتصف بها "داعش" وتجعل التنظيم يختلف عن القاعدة، وفي هذا الصدد ركز التقرير على ما اعتبره مزيجاً من التريث الاستراتيجي Strategic Patience والقدرة على تصميم وإدارة العمليات العسكرية في سوريا والعراق من جانب، والجمع بين أساليب الإرهاب والتمرد العسكري والحرب النظامية التقليدية من جانب آخر. وبينما استهدفت القاعدة في عملياتها بالدرجة الأولى ولفترات طويلة الغرب "أمريكا وأوروبا" الذي أطلقت عليه العدو البعيد، فإنه، وفقاً لأجهزة الاستخبارات الغربية، الشاغل الأساسي لـ"داعش" هو العدو القريب، وهو في هذه الحالة دول منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يمثل تهديداً كبيراً لأمن الإقليم والمنطقة. الخطير في هذا الشأن أن النجاح الذي حققه التنظيم قد يلهم التنظيمات الأخرى مثل "بوكو حرام" في القيام بممارسات مماثلة وتقليد تكتيكات "داعش" في السيطرة على الأراضي المحيطة بها.

ومع نزقه الأيديولوجي، وارتباطه بدعايا الذبح، ومهاراته التنظيمية، وعدائه لحاملي جوازات السفر الغربية، واعتزامه أن يكون قائد الجهادية العالمية، فمن المتوقع أن يتحول "داعش" قريباً إلى مواجهة العدو البعيد، خاصة مع تحوله إلى قبلة للمجاهدين الأجانب خاصة الشباب المسلم الأوروبي، وهو الأمر الذي عمق من مخاوف الدول الغربية من عودة المئات من هؤلاء المقاتلين

إلى بلدانهم ومباشرة أعمال إرهابية هناك.

من جانبه تناول زلماي خليل زاده[3]، خبير الشرق الأوسط المنتمي إلى المحافظين الجدد وسفير واشنطن لدى أفغانستان والعراق بعد الحرب المدمرة في البلديْن، في الناشيونال إنترست خلفية ظهور التنظيم والذي يصفه بأنه أقوى شبه دولة في العالم حالياً، فيقول إن التنظيم خرج من رحم التصارع بين الهويات الفرعية المذهبية والإثنية والتي أثبتت قدرتها على الحشد والتحريك أكثر من الشعارات الكبرى، مثل القومية العربية والإسلام السياسي.

وعلى الرغم من النجاح المذهل الذي حققه تنظيم "داعش" في فترة قصيرة نسبيّاً خاصة مع إعلانه الخلافة، فإنه لا يخلو من نقاط ضعف قاتلة، يحددها تقرير الإيكونوميست في أن التحالف بين الجهاديين المتشددين والبعثيين السابقين قد يتفكك تحت الضغط، ولدى التنظيم خوف كبير من أن يصبح السكان المحليون في مواجهتهم، وربما يفسر هذا تخلص التنظيم بطريقة وحشية من الأقليات والسنة المعتدلين في الأراضي التي سيطر عليها.

الخطير في هذا الشأن أن النجاح الذي حققه التنظيم قد يلهم التنظيمات الأخرى مثل «بوكو حرام» في القيام بممارسات مماثلة وتقليد تكتيكات «داعش» في السيطرة على الأراضي المحيطة بها.

وباختيار "داعش" أن تؤسس دولة، فسيصبح عليها الدفاع عن أراض متسعة تمتد من حلب إلى بغداد، وهو ما سيوسع من خطوط المواجهة. ويتفق وليام ماكنتس[4] في مقال على موقع الفورين آفايرز مع هذا الرأي قائلاً إن داعش سيواجه مشكلة الانكشاف، فمع سيطرة التنظيم على أراض واسعة وسعيها إلى تأسيس دولة بالمعنى الحقيقي، وهو الأمر الذي كان محل خلاف في الأدبيات الجهادية العالمية التي رسختها القاعدة منذ تأسيسها والقائمة على فكرة "الحركية والشبكية"، وبالتالي فإن هذا الكيان القائم كدولة يمكن أن يكون شديد الانكشاف، ولا يمكن أن يستمر في الحكم لفترة طويلة، على الرغم من تمكنه من حشده تأييد مئات الجهاديين من مختلف أنحاء العالم.

ثانياً: هل مواجهة "داعش" ضرورة حتمية للولايات المتحدة؟

إذا كان المراقبون الأمريكيون في أغلبهم قد اتفقوا على كون "داعش" يمثّل تهديداً إضافياً لاستقرار الشرق الأوسط الذي يعاني تهديدات أخرى، وأنه يهدد المصالح الغربية في المنطقة، غير أنهم اختلفوا في مدى خطورة هذا التنظيم على المصالح المباشرة الحتمية التي تتطلب أن تكون مواجهة "داعش" أولوية في السياسة الخارجية لإدارة أوباما. وقد مثّل هذا التيار خليل زاده في مقاله السابقة الإشارة إليه، حيث رأى أن إدارة أوباما لم تحدد بعد إن كان هدفها هزيمة "داعش"، أم مجرد احتواء شبكتها المتسعة. ويذهب إلى أن هدف الاحتواء لن يتطلب أكثر من جهود عسكرية وإنسانية وسياسية، غير أن هذه الاستراتيجية تحتوي على المخاطر ذاتها التي شملتها استراتيجية احتواء واشنطن للقاعدة وطالبان في التسعينيات من القرن الماضي. وعلى ذلك يشير زاده إلى أن هزيمة "داعش" تتطلب تبني الإدارة الأمريكية استراتيجية شاملة طويلة المدى تتكون من خمس خطوات هي:

- حشد جهود إغاثية إنسانية دولية ضخمة، من أجل منع أي توترات محتملة ناتجة عن وجود اللاجئين في البلدان المستضيفة لهم، وكذلك الحول دون أن يكون هؤلاء اللاجئون هدفاً محتملاً للتجنيد من قبل "داعش" في ظل أوضاعهم الإنسانية السيئة. من جانب آخر يوسع هذا الحشد من دائرة الدول الساعية إلى هزيمة التنظيم، ففي حين تقبل قلة من الدول الانخراط في أعمال عسكرية ضد التنظيم، فإن الغالبية منها تشارك في الأعمال الإنسانية.

- الدفع بتسوية سياسية لتوحيد الجماعات المناهضة لـ"داعش" في سوريا والعراق، وربما كان اختيار حيدر العبادي لرئاسة الحكومة العراقية خلفاً لنوري المالكي خطوة مهمة لتوحيد الصف في مواجهة التنظيم. كما من الضروري دعم واشنطن لجهود التسوية في سوريا، بما يعنيه من الاعتماد على حكومة وحدة وطنية مركزية.

- القيام بعمليات دعم عسكرية كالتي أطاحت بطالبان؛ حيث تضافرت الضربات الجوية مع العمليات العسكرية الخاصة على الأرض. وربما ستكون هذه العملية أقوى من عملية طالبان.

- تدويل الجهود المناهضة لـ"داعش" فبقدر اتساع خطر التنظيم يجب أن تتسع دائرة المهتمين بهزيمته، وربما يتعين أيضاً وجود مجموعة اتصال دولية لتهدئة الأجواء الطائفية التي تحرك "داعش".

- تهيئة الجمهور الأمريكي لحملة طويلة ومكلفة، وتوضيح طبيعة ومدى خطورة التنظيم على المصالح الأمريكية، خاصة أن أجواء الحرب على الإرهاب السالفة مازالت ماثلة في ذهن الجمهور الأمريكي.

ثالثاً: إعادة التفكير في "المعضلة السورية":

يشير تقرير الإيكونومست، السابقة الإشارة إليه إلى أنه في الوقت الذي تبدو فيه مواجهة "داعش" في العراق عملية سلِسة نوعاً ما بالنسبة إلى واشنطن، فإن مواجهتها في سوريا أقرب إلى المعضلة، فالحكومة السورية كانت طرفاً في الأزمة التي أفرزت

"داعش"، كما أن واشنطن تعرف أن روسيا ستتدخل لمنع أي حملة عسكرية على سوريا. ويرى البعض أن التعاون مع الحكومة السورية ربما سيقلل من مخاطر الحملة، غير أن هذا يحمل مخاطر تورط واشنطن في أن تصبح طرفاً في الحرب الدائرة بين الفصائل الشيعية التي تقف وراء الحكومة العلوية والفصائل السنية الأخرى المناوئة لها.

أما آرون ديفيد ميللر[5]، فيذهب في مقاله في الفورين بوليسي إلى أن امتداد الحملة إلى سوريا ستكون له مخاطر كبيرة، ويسوق أسباباً لذلك، منها أن سوريا ليست العراق، فلدى واشنطن حلفاء في بغداد ومن الأكراد يمكنها الاعتماد عليهم، وهو ما لا يتوفر في الحالة السورية. من جانب آخر لم تكن سوريا إلا قاعدة انطلاق لـ"داعش". الأمر الآخر أن الأمريكيين ليسوا مهتمين بفتح جبهات أخرى في الحرب. والاحتمال الوحيد لإحداث إجماع سياسي على هزيمة "داعش"، هو أن تشن الأخيرة هجوماً على الداخل الأمريكي، حينئذ لن يقتصر الرد الأمريكي على عمليات تكتيكية، فطالما ظل الداخل الأمريكي بخير، ولم يتحول الإرهاب إلى تهديد استراتيجي للولايات المتحدة في اللحظة الحالية، فسيظل من المرجح أن أمريكا لن تقوم بعملية عسكرية واسعة النطاق في سوريا. من جانب آخر فإن نظام الأسد ليس صديقاً بعد، فأي حملة لإضعاف الدولة الإسلامية من شأنها تقوية نظام الأسد. وعلى الرغم من أن الكثير من المحللين يعتقدون أن "داعش" صنيعة نظام الأسد؛ حيث قام بإطلاق سراح ألف متشدد وتجنب ضرب مواقع التنظيم، فقد بدأ مؤخراً في مواجهة التنظيم عندما أخذ في التحرك ضد مصالحه في شمال شرق سوريا.

رابعاً: دمج الخيارات: عوامل نجاح الحملة ضد "داعش"

تجمع التحليلات على أن نجاح الحملة الدولية على "داعش" لن يعتمد على حل عسكري فقط، ولكن على دمج الخيارات العسكرية والمدنية، السياسية والإغاثية والإعلامية، سواء كان الهدف متعلقاً باحتواء خطر "داعش" أم هزيمته بشكل كامل. فيرى أنتوني كوردسمان[6] في دراسته الصادرة عن المعهد الدولي بواشنطن، أن المفتاح الأساسي لنجاح الحملة على "داعش" هو إحداث تكامل بين جهود التحالف على الجبهة العراقية والعناصر المعتدلة من المعارضة السورية، وكذلك المزج بين الجهود العسكرية والمدنية للتغلب على التطرف، وحشد التأييد السني العربي للحملة من العراق وسوريا والدول العربية السنية، والتركيز على دعم رجال الدين من السنة، والدعم الإعلامي العربي والتركي من خلال التشهير بجرائم التطرف.

ويقترح كوردسمان أنه لضمان انهيار "داعش"، من الضرورة تشجيع برامج تحفيز مالي لكي يعود السنة إلى دعم الحكومة، وأن يتم تقاسم عوائد الموارد في العراق على نحو تشاركي بين الأكراد والعرب والسنة والشيعة، وإعادة تشكيل القوات المسلحة العراقية على أساس احترافي ووطني، وإيقاف قوانين اجتثاث المنتمين في السابق إلى حزب البعث واضطهاد الضباط السنة. كما يشمل هذا الإصلاح إعادة بناء وزارة الداخلية على أساس مؤسسي تكنوقراطي، ومنع أي تحركات تقوم بها ميلشيات سنية أو شيعية.

خامساً: تداخل الأزمات: مستقبل عملية السلام في ظل تأثيرات "داعش"

حاولت بعض التحليلات فهم أثر الحرب المتوقعة ضد "داعش" على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ من بين هذه التحليلات، مقالة أخرى لآرون ديفيد ميللر[7] حول الدولتين، فيقول ميللر إن الحالة التي أحدثها "داعش" والحملة المرتقبة عليه ستعني تأثيرات ضارة على أي احتمالات للتقدم في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، وتتمثل أسباب ذلك في أن الخلاف متسع بين الفلسطينيين والإسرائيليين حول الحدود الشرقية للدولة الفلسطينية، سواء فيما يتعلق بوجود إسرائيل في وادي الأردن أو في مدة انسحابها من الضفة، ويزيد وجود عناصر جبهة النصرة في الجولان من تأزم الموقف، كما أن تل أبيب قلقة من خلايا "داعش" في الضفة الغربية. من جانب آخر عندما يتعلق الأمر بتراجع إسرائيلي لصالح الفلسطينيين، غالباً ما سيرد الإسرائيليون بأن حماس نظير لـ "داعش"، وأن حربهم ضد حماس هي مثل حرب واشنطن على "داعش"، وبالتالي سيمنحهم هذا الادعاء حصانة ضد أي تنازلات للقيادة الفلسطينية طالما حماس تسيطر على غزة وتهدد إسرائيل، وطالما تفتقد السلطة السيطرة على هذه التهديدات. الأمر الآخر أن الحديث عن ضغط أمريكي على إسرائيل هو من قبيل "المزاح"، طالما أن "داعش" يذبح الأمريكيين ويقتل الآلاف.

> على الرغم من النجاح المذهل الذي حققه تنظيم «داعش» في فترة قصيرة نسبيّاً، فإنه لا يخلو من نقاط ضعف قاتلة، منها أن التحالف بين الجهاديين المتشددين والبعثيين السابقين قد يتفكك تحت الضغط، كما أن اختيار «داعش» أن تؤسس دولة، فسيصبح عليها الدفاع عن أراض متسعة تمتد من حلب إلى بغداد.

وفي سياق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي أشار مارتن إنديك السفير والخبير الأمريكي في العلاقات الإسرائيلية الأمريكية في حوار أجراه معه ديفيد روثكوف[8]، إلى تطورَيْن مهمَيْن في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي:

- اتجاه إسرائيل لأن تصبح أقل اعتمادية على واشنطن، وانها

تتجه إلى تشكيل مجموعة من التحالفات الجديدة على نحوٍ سيكون له تأثير عميق على سلوكها في السنوات القادمة، فإسرائيل لديها الآن جيش قوي واقتصاد قوي. من جانب آخر فقد لاحظ القليلون أن الحكومة الهندية مثلاً، كانت داعمة لإسرائيل في الحرب، وأن الإعلام المجتمعي الصيني اتخذ الموقف نفسه، حيث تمكنت تل أبيب من تطوير علاقات استراتيجية مع البلدين، وكذلك مع روسيا التي تغيبت إسرائيل للتصويت ضد ضمها للقرم في مجلس الأمن، كل هذا أدى بالإسرائيليين إلى الشعور بأنهم أكثر استقلالاً عن واشنطن.

- هناك جيل جديد من الفلسطينيين يرفض حل الدولتيْن ويرى أن الصراع سينتهي بحصوله على حقوق المواطنة الكاملة مع الإسرائيليين، ومن ناحية أخرى، سيؤثر ظهور جيل جديد من الأمريكيين الأقل دعماً لإسرائيل حتى من بين اليهود الأمريكيين على تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، وربما سيغير من جوهرها الحالي.

سادساً: خريطة مستقبلية مبهمة للشرق الأوسط

عند الحديث حول مستقبل الشرق الأوسط فيما يتعلق بحدوده ومدى إمكانية تغييرها من عدمه، يشير ستيفن والت[9] إلى إن هناك دواعي تجعلنا نعتقد أن حدود الشرق الأوسط القائمة ستدوم، حتى وإن كانت لا تعبر عن الحقائق المذهبية والدينية والإثنية، أحد هذه الأسباب هو أنه في حال إعادة رسم الخرائط، فلن نعرف ما ستؤول إليه هذه العملية، وبالتالي تعمل النخب الحاكمة على الحفاظ على هذه الحدود قائمة. ومع ذلك، من الصعب أن ننظر إلى ما يحدث حالياً من دون أن نفكر في الاعتقاد بأن حدود المنطقة لن تتغير في المستقبل القريب؛ فليبيا في حالة تفتت، وحدود سايكس بيكو تتغير؛ حيث ستظهر دولة علوية ودولة سنية راديكالية، ولن يكون في المستقبل للخط الأخضر معنى؛ حيث ستظهر إسرائيل كبرى يناضل في إطارها الفلسطينيون من أجل حقوق المواطنة

الكاملة. ولكن لا يوجد من يعرف ما ستكون عليه الخريطة النهائية للمنطقة.

مع سرعة التطورات التي تذخر بها المنطقة وغزارة الإنتاج البحثي السياسي الذي يحاول الإلمام بجوانبها المعقدة، ارتكز عدد من آراء الباحثين والكتاب الغربيين على السيناريوهات المقبلة للحرب ضد "داعش"، وذهبت تحليلات مختلفة إلى التعامل مع هذه القضية وإلقاء الضوء عليها بصورة كثيفة، ما جعل قضايا أخرى ونطاقات أخرى لصراعات متفجرة في مرتبة تالية من درجة الاهتمام، ومنها اتساع دائرة العنف في ليبيا، وكذلك تجدد الصراع الأهلي المذهبي في اليمن. ومن ناحية أخرى لم تتطرق أغلب التحليلات في هذه الفترة إلى أثر الحرب ضد التطرف السني على العلاقات الإيرانية الغربية، خاصة فيما يخص قضية الملف النووي وغيره، حيث إن إيران ستشارك على نحو مباشر في الحملة على "داعش" الموجود بالقرب من حدودها وتهدد حليفيها في بغداد ودمشق.

1- أصبحت أغلب الدوريات والصحف ووسائل الإعلام الغربي تشير إلى التنظيم بالحرفين IS أي الدولة الإسلامية، بعد أن كانت تشير إليه في البداية بالحروف الأربع ISIS؛ أي الدولة الإسلامية في العراق والشام، فيما يقتصر اسم "داعش" على الإعلام والكتابات العربية وسنستخدمه بالتبادل مع "الدولة الإسلامية".

2- Confronting Islamic State, The Next War Against Global Jihadism-America Is Gathering Allies For A Long Campaign Against Extremists In Iraq And Syria, **The Economist**, Sep 13th 2014
www.economist.com/news/middle-east-and-africa/21617113-america-gathering-allies-long-campaign-against-extremists-iraq-and

3- Zalmay Khalilzad, A Five-Step Plan to Destroy the Islamic State- Defeating IS Would Involve A Long-Term, Comprehensive Strategy. Here Is How To Do It, **The National Interest,** August 22, 2014,.
http://nationalinterest.org/feature/five-step-plan-destroy-the-islamic-state-11121

4- William McCants, State of Confusion: ISIS' Strategy and How to Counter It, September 11, 2014
http://www.foreignaffairs.com/articles/141976/william-mccants/state-of-confusion

5- Aaron David Miller, The Islamic State's Home-Field Advantage: 5 Reasons Why An Expanded Mission To Strike James Foley's Killers In Syria Won't Work. And Why It's Going To Happen Anyway, Foreign Policy, August 25, 2014
http://www.foreignpolicy.com/articles/2014/08/25/the_islamic_state_home_field_advantage_syria_iraq_obama_airstrikes

6- Anthony H. Cordesman, Winning the Campaign against the Islamic State: Key Strategic and Tactical Challenges, **CSIS**, AUG 29, 2014, http://csis.org/publication/winning-campaign-against-islamic-state-key-strategic-and-tactical-challenges

7- Aaron David Miller , How the Islamic State Could Kill the Two-State Solution, **Foreign Policy**, September 4, 2014 http://www.foreignpolicy.com/articles/2014/09/04/how_the_islamic_state_could_kill_the_two_state_solution_israel_palestine

8- David Rothkopf, The U.S.-Israel Relationship Arrives at a Moment of Reckoning, AUGUST 26, 2014
http://carnegieendowment.org/2014/08/26/u.s.-israel-relationship-arrives-at-moment-of-reckoning/hmbf?reloadFlag=1

9- Stephen M. Waltstephen M. Walt, The Top 10 Questions About The World's Biggest Problems, **Foreign Policy**, August 28, 2014, http://www.foreignpolicy.com/articles/2014/08/28/stephen_walt_top_ten_questions_about_the_world_putin_ukraine_gaza_iran